

أنوار كاشفة سلسلة من يقول الناس إنني أنا؟ الحلقة الخامسة عشرة

عجيبة إخراج الشياطين

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع في لقاء اليوم حديثنا عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد تحدثنا عن عدة عجائب قام بها المسيح تؤكد حقيقة شخصيته الإلهية. كعجيبة إقامته للعازر من القبر، وشفائه للرجل المقعد، وللرجل الذي ولد أعمى، وإطعامه للجموع الغفيرة، وأيضاً عدم إدانته للمرأة الزانية. وقد رافقت هذه العجائب تصريحات هامة للمسيح، تؤكد أنه كلمة الله الأزلي المتجسد، وابن الله الوحيد. كقوله: أنا هو القيامة والحياة، أنا هو نور العالم، أنا هو خبز الحياة، أنا هو الباب، أنا هو الراعي الصالح، أنا هو الطريق والحق والحياة.

وفي اللقاء الماضي تأملنا بحادثتين، هداً فيهما المسيح الأمواج الصاخبة، وأسكت البحر. مما أثار تعجب تلاميذه والناس الذين كانوا معهم، وأكد لهم أن المسيح هو بالحقيقة ابن الله، كلمة الله الأزلي المتجسد.

أما اليوم فسنأمل بحادثة أخرى حصلت مع المسيح. فبعد حادثة إسكاته للبحر، وصل المسيح مع تلاميذه إلى كورة الجديين التي هي مقابل منطقة الجليل، حيث استقبله رجل كان فيه شياطين منذ زمن طويل. وكان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بل كان مسكنه في القبور، ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل. لأنه قد رُبط كثيراً بقيود وسلاسل، فقطع السلاسل وكسر القيود، ولم يقدر أحد أن يخضعه. وكان دائماً ليلاً ونهاراً في الجبال والقبور، يصيح ويجرح جسمه بالحجارة.

فلما رأى يسوع المسيح من بعيد ركض وسجد له. وصرخ بصوت عظيم قائلاً: مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي. استحلفك بالله أن لا تعذبني. لأن المسيح كان قد أمر الروح النجس أن يخرج من هذا الإنسان. وعندها سأل المسيح الروح النجس قائلاً: ما اسمك؟ فأجابه لجنون. لأن شياطين كثيرة دخلت فيه. وطلب إليه أن لا يأمرهم بالذهاب إلى خارج تلك المنطقة. وكان هناك قطع كبير من الخنازير ترعى في الجبل. فطلب كل الشياطين من يسوع المسيح قائلين أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها. فأذن لهم. فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت في الخنازير. وعندما دخلت الشياطين الخنازير، اندفعت من الجبل إلى البحر أي بحر الجليل. وكان عددهم نحو ألفين. فغرقت كل الخنازير في البحر. وأما رعاة الخنازير فهربوا وأخبروا في المدينة والقرى المجاورة عما حصل.

فخرج الناس ليروا ما قد جرى، وجاءوا إلى يسوع المسيح، فنظروا الذي كان مسكونا بأرواح الشياطين جالسا ولابسا وعاقلا، وجالسا عند قدمي المسيح، فاستولى عليهم الخوف. وحدثهم الذين رأوا ما جرى، بما حدث للمجنون وللخنازير. فطلب إلى المسيح كل جمهور كورة الجديين أن يرحل عن منطقتهم. فدخل المسيح السفينة ورجع. أما الرجل الذي خرجت منه الشياطين فقد توسل إلى المسيح أن يرافقه. لكن المسيح صرفه قائلا: ارجع إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك. فمضى وهو ينادي في المدينة كلها بكم صنع به المسيح. فتعجب الجميع. (بشارة مرقس ٥: ١-٢٠، بشارة لوقا ٨: ٢٧-٣٩)

حقا، لقد كانت هذه حادثة غريبة وعجيبة، حيث طرد المسيح الشياطين أو الأرواح النجسة من داخل ذلك الإنسان المجنون. فعاد هذا الرجل إنسانا طبيعيا سليما معافى، وقد شفى من جنونه. ولنلاحظ هنا أمرين حصلوا يؤكدان حقيقة شخصية المسيح الإلهية. الأمر الأول: هو اعتراف الشياطين التي كانت في داخل هذا الإنسان المجنون، أن المسيح هو ابن الله العلي، وطلبها منه أن لا يعذبها.

إن الشياطين أو الأرواح النجسة ككائنات روحية شريرة، تعرف حقيقة شخصية المسيح، ومن هو. وتدرك أنه هو ابن الله العلي وكلمة الله الأزلي المتجسد. وأن له سلطانا إلهيا عليها، وأقوى منها بكثير. فما أن علمت بمجيئه أو اقترابه منها، حتى صرخت خائفة مرتعبة منه، لأنها تعلم أن نهايتها قد أتت. ولهذا طلبت من المسيح أن يدخلها في الخنازير، وهذا الذي حصل. وكانت النتيجة أن غرق قطيع الخنازير في البحر.

أما الأمر الثاني، فهو سلطان المسيح الواضح على الشياطين والأرواح النجسة. إن المسيح ابن الله الوحيد وكلمة الله الأزلي، هو الوحيد القادر على طرد الشياطين، وأمرها وإخضاعها والسيطرة عليها. ولهذا وجدنا هذا الإنسان المجنون الذي كانت في داخله الأرواح النجسة، يصبح بعد أن حرره المسيح إنسانا عاقلا وصحيا. يخبر الآخرين بما عمله المسيح في حياته، وكيف صار إنسانا معافى.

ألا تؤكد لنا هذه الحادثة يا صديقي وبكل وضوح حقيقة شخصية المسيح الإلهية؟ وأنه هو فعلا ابن الله الوحيد وكلمته الأزلي؟ مع العلم أنها لم تكن الحادثة الأولى والأخيرة، فلقد كان المسيح دائما يخرج الشياطين. ففي حادثة أخرى أحضر مرة إلى المسيح رجل مجنون أعمى وأخرس. فشفاه حتى إن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر. فاندحش الناس وتساءلوا: ألعل هذا هو ابن داود؟ أي المسيح ابن داود المتنبأ عنه في العهد القديم.

لكن الفريسيين وهم فرقة يهودية متعصبة، عندما سمعوا عما حصل، قالوا عن المسيح: هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين. فعلم المسيح أفكارهم وقال لهم: " كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب. وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت. فإن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته. فكيف تثبت مملكته. ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله." (بشارة متى ١٢: ٢٥ و٢٨، ٢٦)

كان كلام الفريسيين عن المسيح مليئاً بالتناقض. فكيف يمكن لشيطان أن يحارب شيطاناً آخر؟ فإذا كان هذا يحصل، فإن هذا يعني كما ذكر المسيح، أن مملكة الشيطان قد انقسمت على ذاتها، وبالتالي قد اقتربت نهايتها. لكن الحقيقة التي لا يريد الفريسيون الاعتراف بها، أن المسيح كان يخرج الشياطين، بقوة روح الله الحال فيه كابن لله وكلمته الأزلي. فهو المسيح الذي عند مجيئه، كما تنبأ عنه الأنبياء منذ القديم، سيقيد الشيطان ويقهره. وهو المسيح الذي سيعلم ملكوت الله، أي سلطان الله على العالم. ولهذا قال المسيح للفريسيين: إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله. أي إن إخراج الشياطين هو تأكيد لبدء ملكوت الله.

أجل يا صديقي، لقد أتى المسيح المخلص، كلمة الله الأزلي، وأعلن ملكوت الله. ملكوت الله الذي يحرر الإنسان من عبودية الخطية والشيطان، ويجعله إنساناً جديداً، يستطيع أن يسلك في طريق الصلاح والخير. ولهذا كان لا بد للمسيح أن يموت على الصليب للتكفير عن ذنوب الجنس البشري بأكمله، وليقوم من بين الأموات قاهراً الموت وإبليس الشيطان. ليمنح كل من يؤمن به الغفران الكامل والحياة الروحية الجديدة والخلود.

وماذا عنك مستمعي؟ ألا تود أن تدخل في ملكوت الله المجيد هذا؟ أو لا ترغب أن تتحرر من عبودية الخطية وسلطان إبليس؟ وأن تنال كل بركات الله العظمى لك؟ ما عليك إلا أن تأتي بتوبة صادقة وإيمان قلبي أكيد بشخص المخلص المسيح، كلمة الله الأزلي، الذي تنازل من السماء لكي يحرك ويهيك الحياة الفضلى والخالدة.